رعاياه البؤساء ويستغلهم وهم مخدوعون به وبنواياه . كان يرى أن فوروتنسكي هو أكبر الجميع وانه حليف للشيطان ويستعمل أساليب شيطانية للتغلب عليه .

واوقف فوروتنسكي بهذه التهمة التي وجهت إليه ، تهمة التحالف مع الشيطان . ولم يكن القيصر نفسه هو من الصقها بـه بل استخدم لهذه الغاية قنا هاربا من ممتلكات فوروتنسكي اضطر ان ينفذ أوامر القيصر . وبعد أن اعتقل اقتيد فوروتنسكي أمامام القيصر فقال له : « علمني أبي وجدي أن أخدم الله والقيصر بصدق واخلاص لا أن أخدم الشيطان لانني سأحاكم أمام محكمة الديان ، كما علماني الا ألجأ الى السحر . إن هذا الشاهد الذي يفتري علي لص مارق ، فلا تقبل كلام جاحد بديلا عن كلمتي » .

وشنق العجوز على شجرة وأحرق ببطء فوق محرقتين . ويقال إن إيڤان حمى بالنار رأس عصاه الفولاذي وغرزه في الأمير الميت . وقبل أن يموت الشيخ قطعوا الحبل وحملوه فوق نقالة الى دير بييلوزيرسك حيث قضى نحبه على الطريق . فحملت جثته الى الدير ودفن بكل مظاهر الاحترام لأن رهبان القديس سيريل كانوا أكثر انسانية من القيصر الذي ما انفك يرسل اليهم الضحية بعد الأخرى .

على أن هذه الجريمة المريعة لم تكن الوحيدة في نهاية عام ١٥٧٧ . فقد مات نيكيتا اودوفسكي تحت التعذيب كما هلك ميشيل موروزوف مع زوجته وولديه ، وربما كان ثمة آخرون لم يجر لهم ذكر .

في مطلع عام ١٥٧٨ وجه إيڤان اهتمامه لما كان يجري في الخارج . كان يعرف معرفة جيدة أنه لم يحبط عزيمة بولونيا بانتصاراته في ليڤونيا وانها كانت تستعد بنشاط لمواجهته . ولقد سعى لأن يتحالف مـع رودولف خليفة مكسمليان على الامبراطورية الرومانية المقدسة ولكن هذا